تحولات الموضوع الوطني والقومي في قصص محسن يوسف

الدكتور محمد مروشية *

الملخص

تتناول هذه الدراسة التجربة الإبداعية للقاص محسن يوسف، بدءاً من مجموعته القصصية الأولى (وجوه آخر الليل)، وانتهاء بمجموعته القصصية الأخيرة (حكايات السيدة الجميلة)، وهذه الدراسة ليست تأريخاً للتجربة الإبداعية للكاتب، وإنما تلمس لتجربته القصصية وتطوراتها، والكشف عن التحولات التي طرأت على الموضوع الوطني والقومي وقد تم تتبع التغيرات التي طرأت على التجربة الإبداعية، والمضامين الفكرية للكاتب، وتناول التقنيات الفنية التي وظفها في قصصه، كالتقطيع، والعنونة، والمونولوج الداخلي، وتداعي الأفكار، والإشارة إلى أن الكاتب لايشقى وراء المصطلحات الحداثية، بل يبقى له صوته القصصي الخاص الذي يتفرد به، مستخدماً السرد النابض بالحياة.

كلمات مفتاحية : التحولات، محسن يوسف، ثنائية النهوض والانكسار.

المقدمة :

إن المتتبع للتجربة الإبداعية للقاص محسن يوسف[١]، يلحظ مدى التصاقها بالواقع المعيش، وبعناصره الثابتة والمتحركة، ومنذ أن بدأت تتفتح براعم تجربته القصصية في

---

* مدرس في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تشرين، سوريا.

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٤/٤= ٢٠١١/٦/٢٥ تاريخ القبول: ١٣٩٠/٧/١٤ = ٢٠١١/١٠/٦

[١] - يجهل محسن يوسف مكان ولادته وتاريخها، ولم ينعم بحنان والديه، أعود لأكرر، فتاريخ ولادة محسن يوسف ومكانها، مشكلة تقع بين احتمالين، وهو راضٍ بهما، فالزمان : ١٩٣٦-١٩٣٩، والمكان : اللاذقية أو طرابلس، وهو يعشق المدينتين، والزمن أهم ما يريحه فيه، هو أن التاريخين منحاه لقب (ابن السبعين)، وهو عنوان آخر قصة كتبها = = مات والد محسن يوسف، وكان أصغر من أن يعي ما حدث، ولحقت به أمه،

أوائل الستينات، كان واضحاً أن الهمّ الوطني والقومي يؤرقه أكثر من غيره من الهموم، بل إن تجاربه القصصية الأولى تجسد تلك المعاني، ربما أكثر مما جسدت قضايا الفن والإبداع.

وإذا كان الكاتب قد أولى أهمية قصوى للمضامين الفكرية، فهذا لا يعني أنه لم يطور أدواته الفنية، ولم يستفد من تقنيات القصة الحديثة، بل سنكتشف أنه ظل حريصاً على التجريب والتحديث والاستفادة من التجربة الإنسانية في كتابة القصة القصيرة شكلاً ومضموناً.

وهذه الدراسة لا تقيد نفسها بمنهج معين، وإنما تحاول الاستعانة بما يفيدها من مناهج البحث الأدبي، ولا سيما التاريخي، وبناء على ذلك تم توزيع البحث على القضايا الآتية :

- تضاريس التجربة الإبداعية في قصص محسن يوسف.
- ثنائية النهوض والانكسار في الموضوع الوطني والقومي.

كأنه طائر لا سرب له على ساحل الوطن وداخله، ليعيش رحلات ابن بطوطة بين جبال وطنه الكبير وسهوله. يشير الكاتب إلى أن هذه الحياة التي عاشها أسهمت بشكل كبير في رؤيته حول الإنسان والمجتمع والعالم، وأنها تركت بصمات واضحة على عالمه القصصي.
نال شهادته الأولى متنقلاً بين قرى منطقة (صلنفة) واللاذقية، وانتسب إلى كلية الآداب بجامعة اللاذقية، قبل أن تحمل اسم (تشرين).

لكنه تابع دراسته على ساحل بحره الأبيض في مدينة الإسكندرية المصرية، ومن هناك فرَدَ جناحيه وطار، ليعبر البحر، زار تركيا من شرقها إلى غربها، وتذكر جبال اللاذقية، وهو على قمة جبل (فيتوشا) في صوفيا البلغارية، وأخذه الزمن بعيداً وقريباً، وكان يكتب ويكتب، وينشر في صحف الخمسينات والستينيات، ومن وحي رحلاته، كتب للأطفال قرابة (٢٥) عملاً، وسيناريو واحداً بث عبر التلفزيون السوري، واحتفت عناوين ما كتبه للأطفال باسم (السندباد)، فرحلاته تحفل بالمعلومات عن أماكن زارها ضمن قالب حكائي يسعد الأطفال .... مع اهتمامه بأدب الطفل، أصدر في الدراسات سبعة كتب، وثلاث روايات، واثنتي عشرة مجموعة قصصية مع أعمال قادمة قيد النشر. (حوار أجريته مع الكاتب، ٢٠ تشرين الأول ٢٠١٠.)

- الانسحاب من المجتمع والانكفاء على الذات.

١- تضاريس التجربة الإبداعية في قصص محسن يوسف :

اعترف ــ دون تردد ــ أن رحلة هذا الكاتب مع الزمن والأدب، رحلة طويلة، تصعب الإحاطة بها، وإذا ما تأملنا عناوين مجموعاته القصصية، نجده يعترف هو الآخر، عبر هذه العناوين، بحجم المكابدة والعذاب والصبر، وشراسة المعارك التي خاضها، لاعتلاء مكانته القصصية المميزة. وأول ما يلفت النظر في التجربة الإبداعية والمضامين الفكرية في قصص محسن يوسف، أن عالم المصيبة والانتكاس واليأس والمعاناة والقهر والاغتراب وفقدان العلاقة الأساسية مع العالم ــ ولا سيما بعد نكسة حزيران ــ يشكل المحور الرئيس في عالمه القصصي.

أما العناوين، فالكشف الملحق يحتويها، ولا ضير من ذكرها، حسب تناولنا لبعض قصصها، وتلمس ملامحها، في هذه الدراسة، والمجموعات هي : (وجوه آخر الليل ــ معرض صور ــ عالم المواطن م ــ الطريق الطويلة ــ الطيور ــ أحزان تلك الأيام ــ الوقوف على الرؤوس ــ اعترافات فارس الزمان ــ آخر الرجال ــ كالذكريات ــ أحزان آدم ــ حكايات السيدة الجميلة) .

والملاحظ في العناوين أنها تحمل رموزها ودلالاتها، فمعرض صوره أو عالمه واسمه يبدأ بحرف الميم، تتزاحم في هذا المعرض أو العالم، الصور والوجوه والرؤوس، والطيور والفرسان والرجال والذكريات والحكايات والأحزان، وكل هذا يرافق رحلته، وهو يطأ أديم الطريق الطويلة، عابراً المسافات والسنين ...

إن وقفة متأنية عند قصص الكاتب تكشف لنا أن قصصه جميعها تنتقد الفساد والتدهور والعسف والهزيمة بمنتهى القوة، وتنطلق من منطلق الحرص على الهم الوطني والقومي، ولكنها تقدم صورة سوداء كالحة للواقع، وعلى الرغم من محاولات واضحة لغرس الأمل في النفوس، فإن عالم هذه القصص يظل ينوس بين النهوض والانكسار.

٢- ثنائية النهوض والانكسار في الموضوع الوطني والقومي:

يبدو جلياً أن ثنائية النهوض والانكسار تكاد أن تنسحب على الأعمال الإبداعية للقاص محسن يوسف، وربما يعود ذلك إلى تمزق روح الإنسان العربي بتأثير صدمة الهزائم التي تتالت، فظهرت بوادر الانكفاء على الذات، غير أن محسن يوسف لم يفقد الأمل، وظل يؤمن بقدرة الإنسان العربي على النهوض من قلب الهزيمة.

تضم المجموعة الأولى (وجوه آخر الليل)، القصص الآتية : (الليل، السبي، الخيوط، البلد المهجور، سقوط الورود الحمراء، الطفل الخامس، الوحش، الوجه الذي لا ينسى، مطر خط الاستواء، الشمس في درجة الصفر، الجوع، سماء لا تمطر، الجبل، اللعبة، وجه بلا ملامح، صور لوجه واحد).

لنقرأ الإهداء الذي افتتح به مجموعته :

" الفجر الذي ننتظره، هو الجنين الرائع لذلك الليل الطويل الذي نزل ببغداد مع الغزو المغولي، فإلى كل الذين ماتوا، ضاعوا، جاعوا، فقدناهم أو نسيناهم. إلى: كل الذين عملوا، ضحوا، تشردوا، وذاقوا مر العذاب. إلى هؤلاء جميعاً، لأنهم كانوا المنارات التي تحدت الليل، وظلت تومض في العيون والقلوب، بانتظار الفجر الذي يولد ... " [١].

هذا الإهداء الذي افتتح به الكاتب مجموعته الأولى، يمكن أن يتصدر مجموعاته التالية كلها، فهؤلاء الذين أهداهم كتابه الأول، هم شخصياته في جميع أعماله، وهم عالمه الذي يعشق، وينهل من سلسبيل عطائهم وتضحياتهم، واستمرارهم في الليل الطويل الذي أعقب غزو بغداد، وتشير عناوين أغلب قصص المجموعة إلى ذلك، وينهي قصة (الطفل الخامس): " بأمنية الأب أن يكون لديه عشرات الأولاد، فهم الذين سيهزمون الغرباء في الحروب القادمة " [٢].

---

[١] - محسن يوسف، *وجوه آخر الليل*، ص٥.

[٢] - *المصدر نفسه*، ص٤٥.

إننا نلحظ من خلال التوقف عند بعض قصص هذه المجموعة أن الهزيمة والانتكاس، وفقدان العلاقة الأساسية مع العالم يغلف هذه القصص، وقد غابت إمكانية المصالحة مع العالم، وربما تعود تلك الرؤية القاتمة إلى الهزائم التي تتالت بدءاً من نكبة فلسطين، مروراً بهزيمة حزيران، وانتهاء بمسلسل التنازلات التي قدمها العرب للكيان الصهيوني، وما زالت تقدم، وقد أدى ذلك كله إلى اقتلاع القاص من جذوره.

نكتشف أن قصصه في مجموعته الثانية (معرض صور) تحمل نغمة تفاؤلية، وأملاً فردياً وقومياً، وحساً إيجابياً في إمكانية المصالحة مع العالم، والنهوض من مستنقع الهزيمة، فيبشر في آخر صفحة منها، وآخر الكلام بأن الفجر الذي ينتظر " يبدو كطائر أبيض، يقترب من البيوت التي كانت ما تزال في الليل " [١].

وتضم المجموعة أربع عشرة قصة، وهذه عناوينها : (السباق، القتل، المطر، البحر، زهرة، الرايات، معرض صور، وجهان، جرح عبد الرحمن، ولادة في الجانب الآخر، الحصادون، مذكرات إنسان من الدرجة الثالثة، الصيادون والطرائد، الطائر الأبيض).

وأتوقف عند قصة (جرح عبد الرحمن) [٢] لدلالتها التاريخية، وفرادة ما استدعته من التاريخ، فالكاتب يستحضر شخصية القائد العربي عبد الرحمن الغافقي، وقد استولى على مدينة بوردو في فرنسا، ويزحف باتجاه مدينة تور، وبلعبة فنية بارعة، يقارب الكاتب الإحساس بالانتصار، في زمنين مختلفين، ويوم واحد، هو يوم سبت من أيام تشرين الأول عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م، وسبت آخر من أيام تشرين الأول عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م، وها هو القائد العربي صانع انتصارات السبت الأول، يفخر بما تحقق في حرب تشرين ١٩٧٣... لنقرأ الحوار الذي صاغه الكاتب بطريقة موحية وعميقة:

- ألم يشف جرحك يا عبد الرحمن؟

---

[١] - محسن يوسف، *معرض صور*، ص٨٤ .

[٢] - المصدر نفسه، ص٤٥-٥٠ .

- إنه ينزف منذ ثلاثة عشر قرناً.
- وهل سيظل ينزف؟
- كلا ... بدأ يلتئم " .... [١]

تكتسب هذه القصة أهمية خاصة من خلال العودة إلى التاريخ، لأنها تتصدى للموضوع القومي عبر " اختزال التجربة البشرية، وتكثيف الفعل في لحظة هي الزمن، وفي مدى مفتوح هو التاريخ " [٢].

ويبدو جلياً أن حرب تشرين التحريرية تشكل النقطة المضيئة في سماء الأرض العربية في العصر الحديث، ومن هنا نرى أنه ظل يؤمن بقدرة الإنسان العربي على النهوض وقهر الهزائم.

ويتجلى الهم الاجتماعي جلياً في هذه المجموعة عبر رصد المآسي التي يعانيها المواطن، حيث إن ظروفاً اجتماعية فرضت كثيراً من ظواهر التشدد والقمع والاستلاب، جعلت القاص ينكفئ إلى الداخل، وتتوضح هذه الرؤيا في قصة(القتل)[٣] من خلال العلاقة بين الحب المحاصر، وقوة التقاليد، والأعراف الاجتماعية والشرائع السماوية، كما يصورها في هذا المقطع، الذي يقول فيه : " نفضا الغبار والأشياء العالقة بهما، ووقفا يلاحقان الليل من الشرفة، قال:

- سيرانا الجيران.

عندئذ ... سمع صوت تنفسها

- خنجر أبيك سيقتل ابتسامة فجر.

رأى عينيها تتوهجان

- ربما قتله أخوك في أحشائك ...

---

[١] - محسن يوسف، *معرض صور*، ص٤٩.

[٢] - عبد الله أبو هيف، *الأدب والتغير الاجتماعي في سوريا*، ص٢١٦ .

[٣] - محسن يوسف، *معرض صور*، ص١٢-١٣.

يداها تضغطان بقسوة :

- سيتبرأ منك جميع أقاربك.
- خذني معك.
- المدينة ستخرج خلفك كلها. ربما رجموك "

استطاع الكاتب في هذه القصة أن يضع يده على الجرح، مبيناً أن قوى الشر الاجتماعية تقف دائماً في وجه العلاقات الإنسانية لقهر الحب واغتياله، وقد وفق القاص فنياً في المعمارية الفنية لهذه القصة عندما خفف من سلطة الحادثة، واستعاض عن ذلك بالجو العام الذي يفضي إلى وحدة الانطباع.

تضم المجموعة الثالثة (عالم المواطن م)، عشر قصص، يقدم بعضها لقطات من حرب تشرين التحريرية، يبتعد فيها عن المباشرة، فيلجأ إلى إسقاط التاريخ على الواقع المعاصر، وفي بعضها الآخر يلجأ إلى الرمز. ويتناول في بعض قصصها قضايا الذبح والغموض والظلم والعسف والحرمان، مما تمتلئ به الحياة، وقصص المجموعة هي: (مذكرات رجل ميت، مدينة الموتى، الظل، الجثة، مجموعة صور للمواطنة ق، غزاة مدينة ف، الأيام الملونة، المواطن م ، الخروج، معرض عن حياة عاشق قديم).

تقارب حرب تشرين قصة (مذكرات رجل ميت) [١] بورقة نعي لرجل مزق ثيابه وبكى، كسر سيف جده القديم، وحلم بسيف من ذهب ليقاتل الأعداء، ثم مات ليقف فارس مشرق الوجه على مقربة من ضريحه، ويكتب على حجارته: " ننعي إليكم المدعو .... الذي فارق الحياة ظهيرة هذا اليوم، السبت،السادس من تشرين الأول لعام١٩٧٣ ميلادي".

الحدث في هذه القصة نتاج واقع وذات في آن واحد، واقع حرب تشرين التحريرية، وذاتنا حيال هذه الحرب، والقاص كان أميناً في رصد أحداثها، ولا سيما إذا عرفنا أنه شارك فيها، ومن هنا يتحقق في هذه القصة الصدق الفني والواقعي في آن معاً.

---

[١] - محسن يوسف، *عالم المواطن م*، ص٩.

القصة الثانية من هذه المجموع، نشرت في أحد أعداد مجلة الآداب اللبنانية، عام ١٩٧٥، وعنوانها (مدينة الموتى)، وكتب عنها الكاتب المصري الدكتور سيد حامد النساج ما يأتي [١] :

"مدينة الموتى، تجربة فنية لصهر نوع من الإحساس بالضيق من الواقع المعيش، في محاولة للانفلات من أسر المكان والسماء والأرض إلى حيث تكون الأسوار محطمة والسماء كبيرة. والعدل والحق والمساواة شيئاً واقعياً حقيقياً حياً ".

أما القصة المعنونة (المواطن م)، فقد تناولها الدكتور هاني الراهب في إحدى دراساتها، ومما كتبه، ما يأتي [٢] :

" تبدأ ــ المواطن م ــ بمنسوب عال من التوتر، يحافظ عليه الكاتب بنجاح مستمر ومطرد، ويتقدم مباشرة إلى المفاصل الأكثر حساسية في دراما حياتنا المعاصرة، ويجهر بعوراتها المكشوفة المتأبية على التغطية. إن (المواطن م) لا يموت، وسواء أكان مواطناً أم وعي مواطن، وبالتالي وعي شعب بأكمله، فقد استطاع أن يرد الموت عنه إلى جلاديه"

إننا نجد في قصص هذه المجموعة ملامح لاتجاه واقعي، يحاول معه الكاتب معرفة الواقع، وينحى في هذا التعريف مع حركة التاريخ، ومن خلال أدواته الخاصة، يقول القاص في قصة (مذكرات رجل ميت) [٣]:

- إلى أين أيها الرجل؟
- أنا ذاهب إلى دمشق.
- لماذا ؟
- لن نسمح للتتار بتدنيس ....

---

[١] - سيد حامد النساج، *مجلة الآداب*، ع١١-١٢، ص٣٦.

[٢] - هاني الراهب، *مجلة الموقف الأدبي*، ص١٣١.

[٣] - محسن يوسف، *عالم المواطن م*، ص١٠.

حوم طائر أسود فقضم الرأس الشامخة قبل أن يتم الرجل ما كان يود أن يقوله " وهكذا نلاحظ اهتمام الكاتب بإسقاط التاريخ على الواقع المعاصر، وقد تكون هذه الموضوعات التاريخية " حيلة أدبية للتخفيف من وطأة النقد الموجه إلى المجتمع"[١].

تضم المجموعة الرابعة (الطريق الطويلة) أربع عشرة قصة تمثل ــ في معظمها ــ تطوراً واضحاً في النضج الفني، والتجريب والتحديث في القصة القصيرة، تتكلم عن حياة المسحوقين والمعذبين والمناضلين ... تبرز النقاء الإنساني، والتماس البياض من السواد، وتعكس تحولات الموضوع الوطني والقومي، وهذه عناوينها: (تغريبة القرن العشرين، عرس الرجل العاشق، الطريق الطويلة، الستائر السوداء، الطوفان، سفر برلك، صورتان لوجه واحد، جريمة الحي الساحلي، الذئاب، الليالي، الشقي، عش الحمام، طائر الأعالي، الضفاف الجميلة) .

وتقدم قصة (سفر برلك)[٢] " العالم وقد اجتاحه الكسوف، وسيطر عليه الظلم والجبروت والجريمة والجوع والخيانة والتخاذل والخنا والقوادة، ومن خلال قصاصات من الصحافة اليومية ومقاطع من مؤلفات مختلفة يكتشف المرء أن العالم خلق مشوهاً، وشب وترعرع، وكلما تقدمت الأيام ازداد الفساد والقمع والاغتراب استشراء، وأن الفساد توأم الإنسان خلق معه، وسيحمل معه على الألواح ".

وهكذا يعتقد بطل القصة الكاتب م. م. يوسف صاحب مخطوط (الشمس تظهر من الغرب) الذي يقدم في هذا المخطوط :

" شهادات على عصر قذر، فالحياة تلوثت إلى درجة التعفن، فقدت الأمور نظافتها، وتعددت الوجوه، والعصافير هاجرت، والسماء مكتظة بأسراب الغربان والبوم، الأشجار

---

[١] - محمود الأطرش، *اتجاهات القصة القصيرة في سوريا*، ص٣١١.

[٢] - حسام الخطيب، *القصة القصيرة في سوريا*، ص١٤٥.

هرمت وتكسرت أغصانها، اللصوص في كل مكان ... العهر والقوادة من سمات العصر العامة،ولم يعد البحر بمثل صفائه القديم،ولم تعد المدينة كما كانت، ولم يعد الفرح فرحاً"[١].

وعلى الرغم من إشارة الكاتب إلى أنه كان هناك فرح في الماضي، ولكننا لا نلتقي بما يوحي أن القهر والقمع والفساد والاغتراب أمر طارئ في المجتمع الإنساني، وربما يمكننا أن نشير إلى أن محسن يوسف يتقاطع في هذه القصة مع رؤية الكاتب (زكريا تامر) حول جوهرية الشر وأزليته وربما انتصاره.

وإذا كان القتام ينسحب على هذه القصة من بدايتها، ويصور كل مظاهر الاستلاب والقمع والشذوذ والجوع، غير أن القاص يحاول أن ينهي قصته بما يوحي إلى التفاؤل بعد إعدام السفاح الذي روع المدينة والأطفال " .... أعدم المدعو عمر الحاج صبيحة يوم الخميس الواقع في ١٩٧٧/٣/٢٤ .... وفي إعدام المذكور ما يشير إلى أن (السفر برلك) على وشك الانتهاء ... " [٢].

إن تقنيات ما قبل نزعة الحداثة مثل تيار الوعي والحوار الداخلي والقطع السينمائي واللمحات الأمامية والذاكرة الراجعة، تتجلى في هذه المجموعة، وتتكاثف ــ بشكل كبير ــ في قصة (الطوفان) [٣].

تمثل هذه القصة تحولات الموضوع الوطني والقومي، فالزناتي بن ساسة، بطل القصة،جندي مصري يسرح من الخدمة بعداتفاقيةكامب ديفيد،ويعود إلى قريته على ضفاف نهر النيل ليعمل في الفلاحة، وبدأت الآثارالسلبية لاتفاقيةكامب ديفيد تتوضح تاركة آثارها على حياة المواطن المصري، وتحاصر الكوابيس الزناتي، ويحلم حلماً مخيفاً مفاده: أن مياه النيل جفت، وأنها حولت لإرواء إسرائيل، أما الكابوس الآخر فهو أن ذكر الجاموس تمرد عليه، ورفض الانصياع لعمله اليومي، والكابوس الثالث تجلى في أن

---

[١] - محسن يوسف، *الطريق الطويلة*، ص٢٦-٢٧.

[٢] - *المصدر نفسه*، ص٢٩.

[٣] - *المصدر نفسه*، ص٦٩-٧٦.

زوجته قد تزينت له، فعجز عن الاقتراب منها، واشتبه بأن ذكر الجاموس حل محله، وتتكرر الكوابيس، فيجد نفسه في مواجهة زعيمه الأسمر ذي العينين الثعلبيتين الذي حاول الانقضاض عليه وتغييبه في السجن.

يقاوم الزناتي، ويصمد في وجه الطغيان المتمثل بشخصية (السادات) الذي حول النصر إلى هزيمة وكبّل مصر بقيود الإذلال والخضوع، فينجح في قهر الطغاة، فيتبدد الكابوس، ويعود النيل صافياً أزرق، وينصاع ذكر الجاموس، وتتجلى الزوجة في بهائها وانسجامها.

ونرى أن تلك القصة تمتلك كل أدوات الإبداع الشكلي والمعنوي واستطاع ببراعة أن يعبر عن التحولات التي أصابت الموضوع الوطني والقومي " أجمل ما في هذه القصة السياسية أنها خالية من الخطابية، فهي تشرح وضعاً سياسياً معيناً، وتعالج رد الفعل الشعبي المعافى ضد الخيانة، وتنتهي أخيراً بتأكيد قيم الصمود واليقظة الشعبية وانتصار الموقف الوطني، وانتهاء الخيانة والمعاناة " [١].

يواجه الزناتي الطاغية في المقطع الأخير:

" استشاط الرجل غضباً وأصبح له عشرات الأيدي، امتد بعضها وأحاط بالزناتي، كان جنود الأعداء ــ آنئذ ــ يحاولون تطويقه وقتله، بينما الضفة الشرقية للقناة تفتح ذراعيها لاحتضانه، داهمة إحساس حار، وكانت رجولته تزداد عنفواناً، وحوله يتجمع رفاقه في المعسكر وسكان قريته، فانقض على الرجل، أخذه إلى جسده الذي تحول إلى قبضة قوية ساحقة راحت تضغط وتضغط، والرجل الأسمر يتلوى ألماً. كان فمه المفتوح يكبر ويمتد في استغاثة طويلة، وعندئذ رأى الزناتي مياه النيل تطوف، وتطوف، وتغمر جميع الأراضي، تروي قطنه، وتنساب بغزارة بين أعواد قصب السكر، وكانت زوجته ــ

[١] - حسام الخطيب ، *القصة القصيرة في سوريا* ، ص١٧٠ .

عندما استيقظ ــ مستلقية وعلى وجهها علامات الرضى والنشوة، فنهض وأطفأ المصباح ثم عاد إليها " [١].

أما قصة (الستائر السوداء) [٢] فهي تتمحور ضمن الموضوع القومي، وتتجه إلى أرض الكنانة لتجسد مأساتها الاجتماعية والسياسية. إن بطل القصة (صابر أبو الفقر) يحاصره البؤس والحرمان، تنقطع به السبل فلا يجد حلاً لمأساته إلا بالتضحية بزوجته الجميلة التي ترتمي في أحضان الأغنياء وذوي النفوذ، وعلى الرغم من تغاضيه عن علاقات امرأته المشبوهة، فإنه يظلم مرتين : المرة الأولى في تغاضيه عما تفعله الزوجة، والمرة الثانية عندما تلفق له تهمة، ويوضع في السجن، وهناك يتعرض للقهر والعذاب، ويخرج من السجن، ويدفع به إلى سيناء لمقاتلة الأعداء بعد أن يعبر القناة مع العابرين، ولكنه يفطن أخيراً إلى جوعه وبؤسه، ويستشهد في ساحة القتال، وهذه الحقيقة المرة ماثلة في ذهنه، شيء واحد فقط اختلف معه بعد عملية العبور، هو أن اسمه انقلب من (صابر أبو الفقر) إلى (صابر أبو الفخر).

يشير الدكتور حسام الخطيب [٣] إلى " أن هذه القصة المرموزة تحكي حكاية الشعب العربي في مصر كله، هذا الشعب هو الصابر، وهو الفقير، وهو الذي انتهكت حرماته، وأغلقت عليه أبواب السجن الكبير، وسلطت عليه أسواط العذاب، وأخيراً هو الذي جند لعبور سيناء، وهو الذي انتصر، وهو الذي احتفظ بتراث البؤس والفقر والاضطهاد. إن القصة تنجح في تأكيد هذه المعاني من خلال تقنية سردية تقليدية، تتخذ شكل فقرات إخبارية ذات عناوين صغيرة، تنقل المشكلة مرحلة مرحلة، ولا تخلو من خفة ورشاقة وبراعة في الانتقال من نقطة إلى أخرى، وهو انتقال منطقي غالباً ومتسلسل زمنياً ".

---

[١] - محسن يوسف ، *الطريق الطويلة* ، ص٦٧-٦٨ .

[٢] - *المصدر نفسه* ، ص٥٥-٦١ .

[٣] - حسام الخطيب، *القصة القصيرة في سوريا*، ص١٨٠ .

وهذه المجموعة، وفي كل قصصها، توجز حكاية المواطن العربي، وما يعانيه من قهر، غير أن الكاتب لا يفقد الأمل، ويبقى مؤمناً بقدرة الإنسان العربي على النهوض، وقهر الهزائم، لنقرأ سطوراً من القصة الأخيرة (الضفاف الجميلة) [١] نلمس حال هذا المواطن قبل نكسة حزيران ١٩٦٧ م :

" قال شاب صغير لرفيقه :

– ليس في الوطن ما يسر، لحقت بنا طائرات الأعداء إلى المخادع، لم نعد نحلم بالفتيات. إننا أسرى يا صديقي ... ".

إنها الضفة الأولى، أما الضفاف الجميلة، فتتجلى بعد حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣، يعود الرجل البطل منتصراً، ليسعد أنثاه التي تعشقه، وها هي تبشره بما زرع في أعماقها، إنه الجنين المنتظر، واسمه تشرين، قائلة :

" – تشرين يتحرك في أحشائي، أحس به ينبض بين القلب والعينيين، وأحس أن أعماقي مضاءة بآلاف المصابيح الخضر .... ".

وفي قصة (الطريق الطويلة) [٢] يتابع القاص رصد التحولات الاجتماعية وصراع الإنسان مع قوى الإحباط، ينهض (صابر) للثورة على النظام الاجتماعي السائد الذي يجرد الإنسان من إنسانيته ويصهره في بوتقة الحرمان والمرارة والفقر، موجهاً اهتماماً خاصاً إلى فكرة الصراع الطبقي. وتلجأ سلطة المعمل إلى الدهاء للقضاء على تطلعاته في إقامة نظام اجتماعي تسوده العدالة، ولخلق شرخ في علاقاته مع رفاقه في المصنع.

يطلبه المدير ويطلعه على تقرير عن تحركاته المشبوهة في المعمل " إن العامل (صابر) يستقبل بعض العمال في منزله ... يقول كاتب التقرير: إن اجتماع صابر بهؤلاء العمال ما يزال غير واضح المرامي، وإن كان يستبعد وجودهم لديه لأسباب تتعلق بالأخلاق، فزوج صابر تبدو محتشمة ورصينة، على الرغم من كونها جميلة " ويقرر

[١] - محسن يوسف، *الطريق الطويلة*، ص١١٤ .

[٢] - المصدر نفسه، ص٧٣ - ٧٧ .

المدير أن يبعد صابر عن هذه المطالب التي قد تشكل ثورة في المصنع، ويسميه مسؤولاً عن شؤون العاملين محاولة منه لرشوته. يحاول (صابر) أن ينقل رغبات العمال إلى الجهات العليا، حمل صابر طلبات العمال إلى الجهات المختصة، قطع سهولاً واسعة، وعبر أنهاراً ورأى شاطئاً يغص بالبواخر المبحرة والراسية، وقابل رجالاً عديدين لهم مختلف الصفات والألقاب، وحفل جواز سفره بأسماء مدن كثيرة : مدينة الريح، مدينة الربيع، الدار البيضاء، مدينة الخرطوم، عمان ... الخ " . ولكنه أدرك أن هذه المطالب ذهبت في مهب الريح، تقترب لحظة الاختيار الصعب، يقرر صابر الاستقالة والعودة إلى النضال ... " بتاريخ ١٩٦٣/٣/٥ وجدت إحدى الدوريات جثة ملقاة على قارعة الطريق، وقد غمرتها الثلوج التي تساقطت خلال الليل الفائت ".

إن هذه القصة تمثل مرحلة الالتزام بقضايا الإنسان، ولكننا نرى أن القاص يعطي الأولوية للقضايا الفكرية ــ في هذه القصة ــ على حساب التشكيل الفني؛ لأن الهم الاجتماعي يطغى على غيره من الهموم عند الكاتب الذي يريد إيصال أفكار بعينها، آمن بها، ودعا إلى النضال الدؤوب لتحقيقها.

المجموعة الخامسة (الطيور) وهي أقرب أعمال الكاتب إلى البحر... فعناوين أغلب قصصها، يلوذ بالبحر، ويلتصق به، لنتأمل هذه العناوين: (طيور البحر، عريس البحر، خطر البحر، فرح البحر، سر البحر، موت البحر)، وتحمل بقية القصص، العناوين التالية : (ظبية الجبل، الحب، ثغرة في الجدار الغربي، الرجل الذي لا يموت، الطائر العائد).

ولعلي في تلمسي لهذه المجموعة، وسواها من أعمال الكاتب، أعذر من يحاول دراسة نتاج هذا القاص، لاتساع عالمه القصصي، وتنوع موضوعاته، وكثافة ما يطرح، ففي قصته (طيور البحر) يعانق أبطال بحريتنا السورية، وهم يذودون عن ساحلنا، في ملحمة تحتاج الكتابة عنها إلى كتاب كبير، ولهذا اكتفى مرغماً، وانتقل إلى قصة أخرى،

هي (ثغرة في الجدار الغربي) [١] والمقصود بها (ثغرة الدفرسوار) في جبهة مصر، والتي غيرت مجرى حرب تشرين ١٩٧٣ م .

لنقرأ مقاطع من الحوار المفترض الذي أجراه الكاتب مع أحد الضباط، ومع الفريق سعد الدين الشاذلي :

يسأل الكاتب أحد ضباط الحرب :

" – ماذا كان يضير حاكمكم لو أغلق الشاذلي تلك الثغرة ؟

يجيب الضابط :

– لو انتصر الشاذلي لشكل خطراً على الحاكم، ولانقلبت موازين اللعبة التي بدأت في الدفرسوار والكيلو ١٠١ .

يعود الكاتب ويوجه سؤالاً، للفريق سعد الدين الشاذلي:

الكاتب : – لماذا لم تمتثل لأوامر الحاكم بشأن ثغرة الدفرسوار ؟ ..

القائد:– كيف أمتثل وأنا المسؤول أمام التاريخ والأجيال والأمة العربية ؟

يستمر الحوار ، وقد حقق الأعداء أهدافهم، وكذلك الحاكم :

الكاتب : الحاكم أقالك وأساء إليك .

القائد : فعلت ما يتوجب علي، وفعل هو ما يناسب أغراضه.

الكاتب : لو فرضنا أنك نجحت في تصفية الثغرة، فماذا كانت النتيجة؟ ...

القائد: إغلاق الثغرة كان ميسوراً، وبعدها كان يمكن لنا أن نثأر لكل المسرحيات التي سموها حروباً ".

وربما كان الإنصاف يقتضي الإشارة إلى أن محسن يوسف يبدو أكثر كتاب جيله اهتماماً بالموضوع القومي، ولا سيما ابتداء من حرب تشرين، مروراً بزيارة السادات للقدس، ومسلسل الأحزان القومية الذي تلاه. هذه الأحزان شكلت خيبات كبرى عند

---

[١] - محسن يوسف، *الطيور*، ص١٠٥-١٠٦ .

الكاتب، فانسحب من دائرة الصراع مع المجتمع، وانتقل إلى صراع جديد، هو الانكفاء على الذات للتعبير عن الآمال الخائبة، وإن كان يحاول في بعض قصص هذه المرحلة النهوض، غير أن الأحلام سرعان ما تتحول إلى سراب .

٣- الانسحاب من المجتمع، والانكفاء على الذات:

بعد كل ما حدث ويحدث، يحدثنا محسن يوسف عن أحزانه في مجموعته (أحزان تلك الأيام)، وعبر قصصها تغمرنا الكآبة، ويشعر الإنسان أنه محاصر بالزمن، وهي بكامل ما تحتويه من قصص أقرب إلى رواية، وزعت على مقاطع، حملت عناوين، تؤكد ما توحي به، كلمات المأساة والفاجعة والنكبة والموت، وهذه العناوين هي: (العذاب، الحب، الموت، آخر الأحزان، مكان ليس في العالم، قصة حب، زهرة الياسمين، يوم رمادي بين السماء والأرض، جبال البحر الأسود، الجدران السوداء) ...

إنها عناوين تعبر بصورة ما عن حال كاتبها، إذ تذكرنا ما ورد في مقدمة هذه الدراسة، فمحسن يوسف فقد والده صغيراً، وهو في القصة الأولى، أو المقطع الأول منها وعنوانه (العذاب) [١] يؤكد أن مجموعته (أحزان تلك الأيام) هي صور أو ملامح من حياته، لنقرأ مقاطع تشير إلى هذه الفرضية، يقول على لسان بطل القصة: " فقد والده، ولا يتذكر كيف حدث هذا. الجميع يقولون : إنه سقط في إحدى معارك الاستقلال، وربما سقط لغير ذلك ... ".

" منذ البداية، عاش في عالم تكتنفه الأسرار والمتاعب، في المدرسة، يضحك الفتيان، وكذلك الفتيات، من ثياب المدينة التي يرتديها، ومن صوته الناعم، وكلماته التي تختفي منها الحروف الثقيلة ... ".

"حتى أمه، اختارت قريناً ثانياً، وأصبح سريره وحيداً هو الآخر، في غرفة صغيرة، تطل نافذتها الضيقة، على واد يخشى وحوشه وأفاعيه،وغموضه الرهيب".

---

[١] - محسن يوسف، *أحزان تلك الأيام*، ص٩-١٠.

إنها مأساة، بدأت بالموت والوحدة، وسلسلة لا تنتهي من الأحزان، إنها قصة محسن يوسف، الكاتب البعيد عن الأضواء، في عالم قاس لا يرحم، يصارعه بقلم صبور لا يهاب.

أما التشكيل الفني في هذه المجموعة فقد تجلى في تعميق التقنيات القصصية الجديدة كالمونولوج الداخلي، وتداعي الأفكار والأحلام والكوابيس، وإسقاط الحادثة من مركز الصدارة، والاستعاضة عنها بالجو العام، فلم يعد الحدث يتطور إلى أن يصل إلى الذروة، ثم يبدأ بالانحدار إلى ما يسمى بلحظة التنوير.

تدور مجموعة (آخر الرجال) حول مشكلات فردية وقومية وإنسانية، مبرزة الهم القومي فوق كل الهموم الأخرى، موضحة الصراع بين قيم الخير والشر، والحق والباطل، والعدالة والظلم، والسعادة والشقاء.

وتضم تسع قصص هي : (أحر من الجمر، حجر من السماء، سور الخلاص، السور القديم، الاحتفال، أحزان تحت الشمس، الغجر، الانتصار، آخر الرجال).

ولأن قصة (آخر الرجال) [١] صورة بالغة الدلالة، لما يعاني بطلها من شقاء وآلام، في سبيل تأمين لقمة العيش لأولاده، رأيت تلمس ما تطرحه، ويود الكاتب قوله للآخرين، فالبطل متقاعد، عاطل عن العمل قذفت به الحياة والسنون إلى الظل، وها هي زوجه التي يرعبها فقر الدم الذي يغزو أجساد أبنائها، والشحوب الذي يشوه ملامحهم، تفح في وجهه صارخة مؤنبة، لسكونه كالنساء، فماذا يفعل؟ وهو الذي كان يرمح كحصان قوي، ويحقق أهدافه وما يرغب فيه.

" تلمس صدره، فوق هذا الصدر عشرات الأوسمة، كلها تبرق وتلمع، وتؤرخ لجيل من الناس أعطى كل شيء، ولم يأخذ شيئاً. وأمام نظرات أفراد أسرته المتسائلة يقصد غرفته، ويعود حاملاً علبة قديمة، يدنيها من فمه ويقبّلها : " توهجت المعادن

[١] - محسن يوسف، *آخر الرجال*، ص٨٩-٩٠.

العزيزة، وهو يتفقدها وساماً وساماً، أشار إلى أحد أولاده فاقترب. دفع العلبة إليه : – بعها ... لم أعد بحاجة إليها " [١].

إننا نرى أن محسن يوسف في هذه المجموعة قد خطا خطوة متميزة إلى الأمام، إذ جعلنا نحس ذاته، ونتلمسها في كل سطر من أعماله القصصية، نحن هنا، لا نعني تلك الذاتية التي تشوه الواقع الموضوعي الذي يصوره الكاتب، بل نعني تلك الذاتية العميقة الشاملة الإنسانية التي تكشف في الفنان إنسانيته وقلبه الدافئ وروحه اللطيفة وسموه،" الذاتية التي لا تسمح له بالاغتراب عن العالم الذي يرسمه، بل تجعله يمرر عبر روحه الحية ظواهر العالم الخارجي، فيمنحها من خلال ذلك روحاً حية " [٢].

ويمكن أن نقول عن قصص الكاتب في هذه المرحلة إنها تمثل انكسار الأحلام والانكفاء على الذات، ولكن مع ذلك تبقى في قصصه مساحة للضوء، رغم فداحة الأخطار، وقصص هذه المرحلة، ضمتها رباعية قصصية، مع رواية قصيرة، والمجموعات هي: (كالذكريات ،أحزان آدم، حكايات السيدة الجميلة)، تضم مجموعة (كالذكريات): (حكايتان من الماضي، حكاية ١١ أيلول ٢٠٠١، من حكايات الأحباب، رسالة حب، حكاية حب غزاوية، المواطن ياء، الوجه الغارب، رجل يعرفه الجميع، حكايات آخر الزمان).

في مجموعة (أحزان آدم) القصص التالية: (الحرب في موقع متقدم، كالذكريات، آدم يعترف، فوق الأرض تحت الشمس، اعترافات قبل النهاية، أحزان العصفور الصغير، العصافير، يكفي).

أما آخر المجموعات المنشورة (حكايات السيدة الجميلة)، فتضم : (سيرة السيدة البحرية، حلم اللحظات الأخيرة، رسالة لم ترسل، أيام في قلب الليل، محاكمة القاتل القتيل،

---

[١] - محسن يوسف، *آخر الرجال*، ص٨٩-٩٠.

[٢]- بيلنسكي، *الممارسة النقدية*، ص١٦٣ .

الحبيب المدلل، وامعتصماه، ضريح آخر الرجال)، وأتوقف عند دراسة عن هذه المجموعة للدكتور ياسين فاعور[١] وعنوانها : (محسن يوسف وفانتازيا القصة القصيرة، رباعية قصصية أنموذجاً)، يذهب في دراسته إلى أن هذه المجموعة تشكل " قفزة نوعية في عالمه القصصي الرحب، ومن حيث ندري أو لا ندري نعيش في عالمه القصصي المتخيل وحاضره الذي يعيشه " ويلاحظ الدارس غلبة عنصر الحكاية على قصص المجموعة كالذكريات، وكذلك مجموعة حكايات السيدة الجميلة، ويتغلب عنصر الزمن على قصص مجموعة أحزان آدم " وعلى محوري الزمن والحكاية، يقدم القاص تقنية قصصية، يفتن في التحليق في عوالم تاريخية ليصل إلى عظة أو عبرة "، وبعد طواف طويل، في عالم هذه الرباعية، يصل الناقد إلى القول بأن : " القاص يتناول موضوعات الساعة وأحداث الحياة، يحلق، ويهدم، ويحلل، ويستذكر التاريخ، وينقد والألم يعتصر نفسه، ويصرح بملء فيه وامعتصماه، ولا من مجيب.

ومن هنا أجد من المناسب إنهاء هذه الدراسة بمقطع طويل من القصة الأخيرة من مجموعة (حكايات السيدة الجميلة) ذات العنوان (ضريح آخر الرجال) [٢]، والتي سأتوقف عندها كخاتمة لدراستي هذه، لأنها تذكر بمجموعة الكاتب التاسعة (آخر الرجال)، وفيها ينهي الكاتب رحلته، ولا أقول حياته، فهو ما زال رغم (سبعينه) يكتب ويقرأ ويشارك أنجاله وأحفاده الكثر أفراحهم وأيامهم، كما اعتاد وأراد، على مساحة عمره الطويل ".

أعود إلى القصة، ولعلها أقصر قصة كتبها محسن يوسف، وعدد كلماتها يتراوح بين (١٥٠–٢٠٠) كلمة، لكنه بهذه الكلمات القليلة، قدم كل شيء، وهو حكاية طويلة لرحلة مديدة. حكاية الكاتب وصديقه القديم الذي هو الكاتب أيضاً، ورحلة جيل.

يسأل الكاتب أو صنوه أو بديله:

---

[١]- ياسين فاعور، محسن يوسف وفنتازيا القصة القصيرة، ص٦ .

[٢] - محسن يوسف، *حكايات السيدة الجميلة*، ص١٠٧-١٠٨.

" ألم نكن نحن شخصيات كتابك الأول (وجوه آخر الليل) ونحن من أخذت إلى معرض كبير، في كتابيك (معرض صور) و(عالم المواطن م)، لترسم بصورنا لوحات ملهاتك ومآسيك، وتقص علينا (أحزان تلك الأيام) لنتساقط مثل (الطيور) على جنبات (الطريق الطويلة) قبل أن تعترف في (اعترافات فارس الزمان) التي هي اعترافات جيل بكامله، قبل أن تصلبه في (الوقوف على الرؤوس) وتقرر موته في مجموعة (آخر الرجال)، ثم تندبه وتحاكمه في (مأساة الوجه الغارب والقاتل القتيل) ... ".

يقرر الكاتب أو البطل أو مثيله شيئاً يقترب من مقبرة، ويأخذ فأساً ملقاة قرب قبر قديم، يرفعها ويضرب بها الأرض، وكان صوته أو صوت شبيهه، يقودنا إلى نهاية، أجد من المناسب إنهاء دراستي مع الصوت، والخاتمة التي اختارها الكاتب لقصته: " أيها اللاهي العظيم، ألم ترتو بعد ؟، ألم تر طيورك المتساقطة، جيلك المصلوب، وفرسانك المهانين المتعبين، ألا يكفي كل هذا أيها الوجه الغارب ؟ .

الفأس تغوص في التربة الرطبة، وجسدي يندفع خلف الفأس، ولا أدري، أكنت أبكي أم أبتسم، وهل كنت أدفن صديقي أو أواري جثتي ؟، كل ما كان يراودني، أنني أخطو آخر الخطوات، على الطريق الطويلة، قدري الذي أسعى إليه، منذ سبعة عقود من الزمن".

هذه القصة تجسد حكاية الكاتب مع الذات والإنسان والعالم، تظهر غربته الروحية وقلقه وحزنه، وربما خوفه من هروب الأيام، فيجد نفسه وجهاً لوجه مع المجهول على نحو يذكرني بابن خفاجة الأندلسي، الذي كان دائماً يتردد إلى قمة واد سحيق، فيصرخ : أتموت يا إبراهيم ؟!، فيعود الصدى : أتموت يا إبراهيم ؟!، وكان كثيراً ما يغشى عليه، فيعودون به إلى البيت محمولاً، غير أن قلق الكاتب محسن يوسف يعود إلى أنه يشعر أنه محاصر بالزمن، ويحاول أن يتجاوزه، وربما تكون القضية الأساسية في قصصه، هي البحث عن الخلاص والانعتاق من الحياة الراهنة المليئة بالقتام والخيبة والعجز، وربما

الدعوة إلى بناء الحياة وفق أسس جديدة. إن ما يميز أعماله في هذه المرحلة، هو أن الكاتب استطاع أن يوحد بين هذه المعاني المتضاربة في تشكيل قصصي متميز، من خلال تقنيات تعتمد على دفقات شعورية قصيرة، وزعها على مقاطع تضعنا في الجو العام للقصص.

الخاتمة :

خلص البحث إلى النتائج الآتية :

- إن تحولات الموضوع الوطني والقومي تنسحب على أعماله الإبداعية كلها، فلا توجد مجموعة قصصية للكاتب لا تتطرق للهم الاجتماعي، والوطني والقومي.
- تركت نكسة حزيران أثراً واضحاً في قصص الكاتب، ومن هنا نرى الانكسار واليأس والقنوط، وعدم المصالحة مع العالم في قصص هذه المرحلة.
- يتجدد الأمل في عالم الكاتب القصصي بعد حرب تشرين التحريرية، لكن سرعان ما تنكسر الأحلام بعد معاهدة (كامب ديفيد) .
- إن المضامين الفكرية في قصصه تعكس تجارب عايشها الكاتب، ومن هنا نرى أن روح الكاتب تومض بين السطور.
- النزعة الحداثية غائبة تماماً، وإن كانت تظهر مؤثرات ما قبل الحداثة ــ بشكل بسيط ــ في بعض القصص؛ لأن الكاتب لا يشقى وراء المصطلحات الجديدة، التي ــ ربما ــ قد يعد هذا الغياب مؤشر سلامة وصحة.

ومهما يكن من أمر ــ بعد هذه الوقفة عند الأعمال الإبداعية للكاتب محسن يوسف ــ فإن الكاتب ما زال لديه الكثير مما يبدعه، وما زال يفتح عينيه على حدائق الثقافة الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر (المجموعات القصصية)

١- وجوه آخر الليل، وزارة الثقافة، ١٩٧١ .
٢- معرض صور، وزارة الثقافة، ١٩٧٧.
٣- عالم المواطن م، دار الشاطئ، ١٩٧٨.
٤- الطريق الطويلة، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٢.
٥- الطيور، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٣.
٦- أحزان تلك الأيام، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٨.
٧- الوقوف على الرؤوس، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩١.
٨- اعترافات فارس الزمان، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٢.
٩- آخر الرجال، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.
١٠- كالذكريات، دار الحقيقة، ٢٠٠٦.
١١- أحزان آدم، دار الحقيقة، ٢٠٠٦.
١٢- حكايات السيدة الجميلة، دار الحقيقة، ٢٠٠٦.

ثانياً : المراجع :

١- بيلنسكي، *الممارسة النقدية*،تر.فؤادالمرعي،مالك صقور،دارالحداثة،دمشق،١٩٨٢.
٢- حسام الخطيب، *القصة القصيرة في سورية*، وزارة الثقافة، ١٩٨٠.
٣- عبدالله أبو هيف،*الأدب والتغير الاجتماعي في سوريا*، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠.
٤- محمود الأطرش، *اتجاهات القصة القصيرة في سوريا*، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٢.

ثالثاً : الدوريات :

١- سيد حامد النساج ،مدينة الموتى، *مجلة الآداب*، ١١-١٢، ١٩٧٥.
٢- هاني الراهب، عالم المواطن م، *الموقف الأدبي*، ٥٩-٦٠ ، ١٩٧٦.
٣- ياسين فاعور، محسن يوسف وفنتازيا القصة القصيرة، جريدة *الأسبوع الأدبي*، العدد ١٢١٢، ٢٠١٠.